

أسطورة هندية

الفلاح والنجل

للبنديت تاراشندروى
نقلها عن الألمانية
الأديب براهم براهم يوسف

فأجاب التاجر : يا شاود
هرجى . لم هذا التفكير
السقيم وليس من طائل
تحتة ؟ إن الأمور تسير كما
كتب من قبل فى لوح
القدر ، وإذا ماشغلنا أنفسنا
بأمور مضية كهذه فقد
يتمد الطريق ويطول إلى
ملا نهاية . والأولى أن
تتحدث فيما تنسلى به

— أنت على حق يا شاه جى ، فالقضاء لا مفر منه
وأروح للنفس أن تقص شيئاً من الطرائف والنوادر ،
ولكن مالنا لا نضع شروطاً للحديث قبل البدء به
إذا لا ينبغي ألا يشك أحداً فى صحة قول
الآخر ، وألا يعترض قوله ألبتة ، حتى حين
يتراءى له أن كلامه غير محتمل الوقوع ، أو أنه
مبالغ فيه كل المبالغة ؛ وعلى الذى يخالف هذه
الشروط أن يدفع للآخر ألف روبية
فقال التاجر : أوافقك على هذا كله على أن
يكون بدء الحديث لى :

وبدأ التاجر فقال : أنت أدرى بأن الجدل الثانى
لى كان محترماً موفور الرزق

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — ولما أن بدأ بالتجارة رحل إلى الصين
فى مئة سفينة ، فأصاب فيها مالا كثيراً ورجع إلى
وطنه يرفل فى نعمة اليسر ويسبح فى محيط من
الترف والنعيم

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — وأحضر من تلك البلاد الثمانية ما عثر

يحكى أن تاجراً كان يسكن قرية من قرى
الهند ؛ وفيما هو سائر ذات يوم فى طريقه إلى المدينة
المجاورة ليستجلب بضائع جديدة لقيه فلاح يبنى هو
الآخر الوصول إلى المدينة ليدفع إلى أحد أصحاب
البنوك قسطاً من المال استحق عليه من دين كان
قد اقترضه الجدل الثانى له ، وأصبح القرض الذى
كان مئة روبية عشرة أمثال ذلك بعد خمسين سنة
وكان الفلاح المسكين يسير فى طريقه مفكراً
فيما عساه أن يفعل لحماية أرضه كيلا تقع فى يد
ذلك المرابى

وسأله التاجر : إلى أين أنت ذاهب يا شاود
هرجى ؟ المرابى لتدفع إليه قسطاً من المال ؟ وهلا
فكرت فى طريقة تحفظ لك أرضك ؟

فأجاب الفلاح وكان مستغرقاً فى تفكيره
المضنى : يا شاه جى ، ما ذا عساي أن أفعل ؟ لقد
اقترض جدى الثانى مئة روبية فأصبحت الآن
عشرة أمثالها — ألف روبية كاملاً ... أنعم النظر
فى ذلك واعلم أنه ليس فى الوسع إبقاء هذا الدين العظيم
حتى لو قدمت للمرابى الأرض التى أمتلكها

مسائل الدولة حدًا قصيًا . وغضب الملك غضباً مستطيراً ، وما ذلك إلا لرزانة جدى الذى كان يدافع عن آرائه السياسية ويدعم حجتها بالإنبات فى هدوء وتؤدة . فسمع الملك من أن يتابع قوله ، ولكن جدى صرخ فى وجه الملك بصوت كالرعد أفهمه به أنه لا يفقه فى سياسة الدولة مقدار ذرة . وشعر الملك إذ ذاك بأنه أهين فى الصميم وأمر بأن يرى جدى إلى فيل مفترس ليقتله

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — ولكن ما إن رأى الفيل جدى حتى ذهبت عنه وحشيتة ، وتقدم إلى جدى فى رهبة وخشوع ، ثم أحاطه بخراطومه ورفعته إلى ظهره

الفلاح — حسن جداً يا شاه جى احسن جداً

التاجر — ودهش الملك كثيراً لما وقع أمام بصره ، فأنحنى قدام جدى وسأله المغفرة ورفعته إلى منصبه ومنحه لقب « من لا يجارى »

الفلاح — هذا بديع يا شاه جى ، بديع جداً

التاجر — ولما أن توفى جدى هذا عين أبى وزيراً خلفاً له ، إلا أنه فضل مهنة التجارة على منصب الوزارة ، ومكنته فطنته ومقدرته التجارية من اكتساب مال وفير استعان به على أن يجتاز العالم من مشرقه إلى مغربه . ورأى فى تطوافه هذا أشياء عجيبة ، منها أنه لاحظ ذات يوم بعوضة تتردد على أذنه وتطن ؛ ولكى يبعد أبى عنه هذه الوافدة سأل البعوضة فى كثير من التأدب ألا تضايقه ؛ فقالت له البعوضة :

— يا أكمل وأشرف من رأيت من التجار ، لقد سررت بطبيعتك السمحة ، ولذا أود أن أسدى إليك جيلاً

وندر . وكان من بين هذه الأشياء صنم صغير من الذهب أمره عجيب ، فقد كان يكشف هذا الصنم عن مستقبل كل من يستكشفه مستقبله

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — وكثر أصدقاء جدى الثانى الذين حضروا وتمكنوا بواسطة ذلك الصنم من أن يطلعوا على مستقبلهم . وفى ذات يوم حضر جدك الثانى لدى جدى الثانى ، وما لبث أن حدث الصنم فسأله : من هم أذكى الناس فى العالم ؟

فأجاب الصنم : التجار

ثم سأله ثانية : ومن هم أغبي الناس فى العالم ؟

فكان الجواب : الفلاحون

ثم أعقب بسؤال آخر إذ قال : ومن سيكون

أغبي شخص فى ذريتي ؟

فأجاب الصنم : شاود هر جى هو شيار سنج

وكان هذا اسم صاحبنا الفلاح الذى قال : لقد

قلت صدقاً يا شاه جى

وكانت كلمات التاجر هذه تخز صدر الفلاح ،

إلا أنه كظم غيظه وأسر فى نفسه معترماً إذا ما جاء

دوره ليقص حكايته أن يضطره إلى دفع الثمن غالياً

التاجر — وكثر الراغبون فى شراء الصنم ،

ولكن أمره كان قد بلغ الملك ، فاستدعى جدى

الثانى وطلب منه الصنم وكافأه على ذلك بأن جعله

رئيس وزارته

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جى

التاجر — وبقي جدى الثانى فى منصبه هذا

عهداً طويلاً وبلغت شهرته العالمين . ولما أن توفى ،

خلفه جدى الأول ؛ ولكن الملك لم يكن ليرتاح إليه

لشدة تمصبه لآرائه . وفى ذات مرة بلغ النقاش فى

الطاهية نظرة فزع كما لو مسها الخبل . وحاولنا
المستحيل لنقنعها بأننا بشر مثلها ولسنا من الجان .
فقلت أخيراً :

ما أبدع هؤلاء البشر الذين يخرجون من ماعون
يغلي فيفزعونني . وسألناها الصفع وقلنا لها : ما كنا
نبني أن يصبح مصيرنا إلى الماعون ، فذ خمسة عشر
عاماً كنا نسكن في قصر نخم مشيد بين أحشاء بموضة
وما إن أدركت الطاهية ذلك حتى صاحت :

وى ! الآن أذكر أن بموضة عضتني منذ خمس
عشرة دقيقة ، وها هو أثرها . ولما آلمتني عضتها أرتقت
دمها وسقطت نقطة منه في الماعون ، ولم أكن
لأعرف أنكم بقصركم ضمن هذه النقطة
وقال أبي : أيها المرأة الطيبة القلب ، الآن
يمكننا أن نقفه سر وجودنا في الماعون دون قصد ،
وذلك بعد أن ذكرت ما ذكرت ، لم تكن سنواتنا
الخمس عشرة إلا دقائقك الخمس عشرة . وهكذا تحققت
لي هذه القوة والعظمة في خمس عشرة دقيقة ، وإن
كان لي من العمر خمس وعشرون سنة فاني في
الحقيقة لآزت في سن العاشرة

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جي

التاجر — ولما أن خرجنا من جوف البموضة
علمنا أننا كنا نسكن ناحية أخرى غير التي نسكنها
الآن . وافتتح أبي هنا ، وكان من قبل وزيراً ، متجراً
وكنت أساعده في عمله ، إلا أن جوال السكان لم يوافق
صحة أي بحال . فلما قضت بحبها حزن عليها أبي
حزناً مبرحاً ولم يستطع . وقد فقد كثيراً من قوته
أن يجابه الحياة عقب ذلك المصائب الجلل . فلما مات
توليت بنفسى شئون المتجر . ولقد تعلم يا شاو دهر جي

وفتحت البموضة فهاها فإذا أبي يرى بين
أحشائها قصرأ جميلاً كل شيء فيه من الذهب
الابرز ، وقد جلست إلى إحدى نوافذه فتاة آية
في الحسن والجمال ، ووقف أمام مدخل القصر فلاح
يريد أن يختطف تلك الفتاة قوة واقتداراً ، فلم يطق
أبي صبراً على تلك الحال ، وكان معروفاً بأنه أشجع
من دب على الأرض ، فقفر فوراً إلى فم البموضة
ليجنى الفتاة من اغتصاب الفلاح

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جي

التاجر — ومررت به لحظة اشتمله فيها الظلام ،
ولكن ما لبث أن رأى مرة أخرى القصر والفتاة
والفلاح ، فانهال على الفلاح حتى صرعه ، ولا شك
أن كل عضو من أعضاء الفلاح كان يتهشم
لولا أنه أخذ يستحاف أبي أن يعفو عنه وهو يشتف
من كل جسمه . والآن أعرف من كان ذلك الفلاح ؟
إنه كان أباك بالذات . وما إن تم لأبي هذا الانتصار
حتى تزوج من تلك الفتاة الحسنة التي انتضج أنها
أميرة . وهكذا آل إليه ذلك القصر الذهبي . ثم
التحق أبوك بخدمة أبي وصار حارس الباب ،
وكان عليه أن يقف لدى الباب ليل نهار ؛ وولدت
أنا في ذلك القصر ، وكنت في سن الخامسة عشرة
حينما أمطرت السماء ذات يوم ماء في درجة الغليان ،
فذاب القصر بفعل المطر ونشأ في موضعه إقيانوس
من الماء الأجاج ، وما لبث أن اجترفنا التيار ، غير أننا
بذلنا جهوداً لا يمكن وصفها وتمكننا نحن الأربعة
من الوصول إلى الشاطئ

الفلاح — هذا صحيح يا شاه جي

التاجر — ولما أجلنا الطرف فيما حولنا رأينا
وبالدهشة ما رأينا أننا في مطبخ . ونظرت إلينا

وسوف ترون رأي العين أن نتاجها سيصير وفيراً
ومن ثم إن تبقى لنا بعد اليوم شكوى

فوافقه الفلاحون على رأيه، وشكر لهم جدي
الثاني قبولهم اقتراحه شكراً جزيلاً؛ وبدأ يستمد
للعمل، ودفعة واحدة حمل القرية بأكلها فوق رأسه
التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي

الفلاح — وانتقل والقرية بأكلها على رأسه
من موضع لآخر باحثاً عن الماء فاجتاز العالم بأجمعه
وكان كلما وجد مطراً استسقى الأرض. وبقي على
هذه الحال ستة شهور حرث خلالها الأرض وفلحها
وزرعها وجاء المحصول عظيماً لا مثيل له، فقد بلغت
عيدان القمح والأذرة من العلو درجة لامست فيها
عنان السماء.

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي
الفلاح — وكانت كل حبة من حبات القمح
والأذرة في حجم رأسك.

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي
الفلاح — وهرع الناس من كل فج عميق
تسأل جدي الثاني أن يبيعهم غلالاً.

وكان الفلاح والتاجر قد وصلا في هذه اللحظة
إلى المدينة، وتابع الفلاح قص حكايته فقال:
وكان الجد الثاني لك في حالة من الفقر يرثي لها
فعطف عليه جدي الثاني ووكل إليه بيع الغلال

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي
الفلاح — وكان لا عمل لجدك الثاني إلا أن
يزن الغلال طيلة يومه. ولكنه لم يكن موفقاً في
عمله فكان مرة يطف الكيل ومرة يبخره. ولزما
لتلك كثيراً ما كان يُشعر جدي الثاني جدك الثاني
بيده القاسية تهوي على مواضع من جسمه

علم اليقين قدر انتماش التجارة على يدي. هذه
قصتي...

والآن أقصص على يا شاودهرجي ما شئت
الفلاح — يا شاه جبي إنك لصادق في قصتك
كل الصدق. والآن استمع إلى قصتي التي لا تقل
عن قصتك صدقاً

كان جدي الثاني أغنى فلاح في القرية وكان
جميل الطلعة معتدل القامة واسع العلم ذكي الفؤاد،
محبوباً أبناً حلاً، يتسارع إليه كل ذي غرض، وكان
يسدى المونة إلى فلاحى القرية عند الحاجة فيقدم
إليهم مواشيه ورجاله، وكان يحكم بينهم بالقسط إذا
ما جاءوا إليه متخاصمين. ولم يكن ليأخذ أجراً مادياً
على ما يؤديه لهم من خدمات. فقدرة الملك حق
قدره وأفاض عليه من الأوسمة أعزها، وكان إلى
ذلك كله أعظم من بهم ورستم^(١) ولهذا لم يجرؤ
مخلوق أن يعترضه في شيء.

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي
الفلاح — وحدث مرة أن أصيبت قريتنا
بالجاعة بعد أن حبس عنها المطر وجفت البرك
والآبار والأنهر، وقل علف البهائم فماتت زرافات
ووحداً. ولما رأى جدي الثاني ذلك أعمل الفكر
ودعا الفلاحين جميعاً إلى حفل ثم قام فيهم خطيباً
وقال:

إخواني الأعزاء
أردت أن أعرض عليكم اقتراحاً لا ريب أن
فيه نجاة لكم. وهأنذا أطلب إليكم أن تتركوا لي
أرضكم كافة قدر نصف سنة وأنا كفيل بفلاحتها

(١) هما شخصيتان خرافيتان في الأفاميس الهندية لا مثيل
لهما في القوة والجبروت

اعترف صراحة بالدين أمام شخص ثالث ، وإذا ما عارض الفلاح في كلامه فقد يتحتم عليه أن يدفع الجزاء المقرر وهو ألف روبية كما اشترطاً باديء ذي بدء ، ثم عليه وقد اعترف بالدين أن يدفع إلى المرابي ألف روبية أخرى

ومهما قابت المسألة على مختلف وجوها فقد كسب الفلاح الماكز المعركة ، ولم تعد للتاجر حيلة ، فأخرج كيس نقوده وهو يتميز من الغيظ وقلبه مغمم بالأسى ودفع إلى الممول الألف الروبية .

وعند ما افترقا قال الفلاح لصاحبه :

يا شاه جي ، بضحك كثيراً من بضحك أخيراً .

فقال التاجر — هذا صحيح

واندفع في طريقه وحيداً لا يلوى على شيء
ابراهيم ابراهيم يوسف

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي
وكانا قد وصلا في هذه الساعة إلى مكتب المرابي
غضبه وجلسا . ثم استأذن الفلاح المرابي في لحظة .
ثم تابع حديثه مع التاجر

الفلاح — ولما بيعت كل الغلال لم يبق لجدي
الثاني حاجة إلى جدك الثاني فصرفه . ولسوء
حظ جدك الثاني وقع مرة أخرى في ضنك أتعس
من الحالة الأولى ، فجاء إلى جدي الثاني وطالب إليه
أن يقرضه مئة روبية فأعطاه جدي الثاني المبلغ
المطلوب لساعته لما عرف عنه من طيبة القلب

التاجر — هذا عين الصدق يا شاودهرجي
وعندئذ قال الفلاح بصوت يسمعه المرابي :

إن جدك الثاني لم يف هذا الدين

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي
الفلاح — ولم يحاول جدك الأول ولا أبوك
إيفاء هذا الدين

التاجر — هذا صحيح يا شاودهرجي
ثم إنك أنت حتى الآن لم تف دينك هذا
التاجر — هذا صحيح

الفلاح — وأصبحت المئة الروبية بعد انقضاء
خمسین عاماً وبعد ضم الفوائد إليها ألف روبية .
ولهذا فأنت مدين لي بمبلغ ألف روبية
التاجر — هذا ... هذا صحيح

الفلاح — والآن وقد اعترفت أمام المرابي
بالدين الذي عليك أرجو أن تتفضل بدفع هذا المبلغ
تواً حتى أستبقى لي أرضي

وذهل التاجر كمن انقضت عليه صاعقة . وما
كان في وسعه أن يتنصل من كل ما ذكر ، فقد

تاريخ الأدب العربي

الأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط
يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم
في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمانه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب